الجسر

السابعة صباحًا هو وقت مرور بكر من فو ق الجسر ليعبر إلى الجهة الأخرى حيث مواقف سيارات الأجرة التي تقل المسافرين إلى البلدة المجاورة،فهناك تنهال عليه طلبات الشاي الذي يصنعه وبرغم وجود مقهى بالقرب من سيارات الأجرة إلا أن شاي بكر ذائع الصيت..

سعدية بائعة الخبز والحظ لا أحد يمر بجانبها إلا وينال شيئًا من بركة ملامحها الجميع يحب الحديث معها برغم أنها أحيانًا توزع السباب والبسمات في آن واحد،العم بدر أقدم بائع جرائد في المنطقة بأكملها يعرف كل صغيرة وكبيرة عن الحي، الشاي والخبز والجريدة من الأشياء التي لا يستغنى عنها المسافرين..

وكأن العالم كله تجسد في هؤلاء الثلاثة..

بكر من الأشخاص المحبين للقراءة ودائمًا يستعير الكتب من كشك عم بدر،يفضل بيع الشاي على أن يعمل في وظيفة حكومية تحت رحمة مدير لا يرحم.. في كل صباح هو على موعد مع ابتسامة سهر تلك الفتاة السمراء التي يناديها الجميع بـ وردة لأنها تبيع الورد بينما بكر يعشق اسمها الحقيقي سهر ولا يناديها إلا به..

سعدية أم وزوجة وحيدة برغم أنها أنجبت خمس أولاد، فجميعهم سافروا إلى حيث لا تدري..زوجها لا تعرف عنه شيء منذ أكثر من عشر سنوات ومع ذلك لم تتزوج ولم تنشأ علاقة مع أحد..

الجسر هو الوسيلة الوحيدة التي يعبر منها الجميع إلى صخب سائقي سيارات الأجرة،ومشاجراتهم التي لا تنتهي، ولكن قلوبهم بيضاء فبعد كل مشاجرة يشربون الشاي من يد بكر ويأكلون من خبز سعدية..

عابد سائق السيارة البيضاء له من سوء الحظ نصيب لابأس به.. فكل من يستقل سيارته هم من طلبة الجامعات والذي لا يفهم أغلب حديثهم المحشو بأوضاع البلد وأشياء أخرى.. يجمع أحاديثهم ليضعها في سترته وفي آخر النهار يجمع السائقين حوله ويخرج ما بجعبته من أحاديث الطلبة ليتفاخر بنفسه أمامهم، ومن خلفهم يطلق بكر ضحكاته الهستيرية على عابد والذي بدوره يغمز له كي لا يكشف أمره أمامهم..

هنا تأتي سهر وتجلس على الرصيف بجانب بكر وبصوتها الناعم تخبره عما حدث معها طيلة النهار..

- بكر اليوم كان سيئ لم يشتر أحد مني وردة واحدة، جئت كما ذهبت عدا أن الورد قد ذبل مني في الطريق ولم يعد يصلح للبيع مرة أخرى.

- أتعلمين يا سهر أنه من المحزن ألا يشتري الناس الورد،أنتِ تبعين ورودك بالمكان الخطأ
-كيف؟؟
-هنا سائقين ومسافرين وبعض العابرين، ولكن الجسر بعد الخامسة عصرًا يصبح المكان المفضل للعابثين بالعشق ارمي عليهم سهامك.
- لم أفكر أن أذهب إلى الجسر ربما لأنني جديدة هنا في المكان،بكر أتعلم أنك منحتني بعض الأمل بعدما فقدته..
- لا أريد رؤية سهر حزينة مرة أخرى..

نهاية يوم شاق للجميع.. المكان شبه خالي عدا كشك الجرائد..العم بدر يقوم، بلملمة الكتب والجرائد وهنا يقفز بكر لمساعدته وكالعادة يخطف كتاب ويتفقد صفحاته ثم ينظر للعم بدر ويقول:
- عم بدر...
- أعلم ستأخذ الكتاب معك وتقرأه ثم تعيده لي عندما تنتهي منه،ولكن الغريب انك تعيده في الصباح متى تنام، ومتى تستيقظ هذا ما أريد معرفته،بكر على ما أظن أنك تخرجت من الجامعة هل يعقل وبعد كل هذا العناء أن تقوم ببيع الشاي،مكانك ليس هنا يا بكر..كما أنني سمعت من البعض أن صاحب المقهى مستاء منك ويريد إبعادك من هنا لأنك سرقت منه زبائنه على حد قوله، هذا الرجل فقير عقل ولا يجيد التعامل إلا مع البهائم..

-لابأس ياعم بدر أنا أيضًا أجيد التعامل مع البهائم وأصحابها لا تقلق بهذا الشأن.. كنت أريد سؤالك عن عابد

- عابد عقله صغير، ولكن قلبه كبير يحب التحدث في الأشياء التي لا يعرف عنها شيئًا سوى آراء الآخرين بها، أغلب من يستقل عربته هم طلاب الجامعة لذلك كل ثرثرته تدور حول مايحدث في البلد يضحكني، وهو يسردها على السائقين بطريقته الساخرة،بالمختصر من يريد أن يضحك من قلبه عليه أن يجلس مع عابد فأنا ألقبه بـ صانع الضحكة..

في صباح اليوم التالي يبدو كل شيء كما كان بالأمس عدا تأخر سهر عن موعدها،يأتي بكر حاملًا معه كوبا مخصوصا من الشاي للست سعدية..بينما هي تمد له يديها بـ رغيف من الخبز الساخن مع ابتسامة عريضة يتسرب منها تحايا الصباح..

-يسعد صباحك يا بكر

-وصباحك ياست سعدية وصباح الرغيف السخن..رغيف الخير

- بكر سأزوجك

- هكذا على صباح رب العباد،شكرًا يا ست لا أريد الزواج

- اصغي لي أنها جميلة

-وماذا ستفعل الجميلة بسيد الحظ السيء بائع الشاي؟

وبلهجتها الفلاحي انطلقت منها سبابة عابرة مع ابتسامة قصيرة مما جعل بكر يضحك بصوت عالٍ..فيأتي عابد من خلفه

-علام تضحكون..شاي و خبز ساخن ثم مد يديه في صندوق صغير بجانب سعدية وخطف منه قطعة من الجبن الأبيض، ألعن هذا اليوم الذي لا يبدأ بخبز سعدية وكوب شاي من يد بكر..لم تخبروني علام تضحكون..

رد بكر بابتسامة: الست سعدية تريد أن تزوجني وأنا لا أريد

- أنت نحس،زوجيني أنا يا ست سعدية شرط أن تكون مثلك ويااليت لو تكون أنت العروس فضحكت سعدية وبكر معا..

وفي هذه الأثناء مشاجرة كبيرة بجانب كشك عم بدر مما جعل بكر يركض ليطمئن عليه،

ترك عابد كوب الشاي وسقط منه الخبز على الأرض ليركض خلف بكر.. ينظر خلفه وينصح سعدية بالبقاء مكانها حتى لا تتأذى..

المشاجرة هذه المرة قام بها أشخاص من خارج الحي لا أحد يعرفهم،تسابق السائقون في فضهم، ولكن دون جدوى.. وبين أصواتهم العالية تأتي صرخة عابد عندما شاهد بكر وتبدل ثيابه، بلون الدم،أحدهم قام بطعن بكر عدة طعنات مما أفقده وعيه.. فرّ الجميع عدا السائقين والباعة

المتجولين في المكان وفي هذه الأثناء جاءت سهر راكضة بملابس ممزقة من كل جهة وخدشات متفرقة على كامل جسدها، وهي تصرخ.. بكر..بكر.. بكر اغتصبوا الورد يا بكر وتركوا لي الشوك..بكر لا تتركني الآن..

صمت من الجميع وتمتمات من عم بدر..أخبرته أنه مستاء منه لقد أخبرته أنه لا يجيد التعامل إلا مع البهائم لماذا يا بكر.. لماذا أنت يا بكر

نظرات عابد يملؤها الوجع..وسعدية تبكي حظها فبعدما رزقها الرب بابن سادس لم يأتي من أحشاءها، بل من أحشاء الأيام،طعنته الدنيا ليتركها وحيدة كما كانت..

حتى الجسر الذي يعبر عليه الجميع بات ملطخًا بعذرية سهر ومبلل بعرقها،هذه البلدة تشبه الوطن فكل شيء فيها مغتصب ومغموس بدماء الأبرياء.